

(أول ليلة في القبر)

الحمد لله رب العالمين القائم على كل نفس بما كسبت أو اكتسبت سبحانه له الحكم وإليه ترجعون ، نحمده سبحانه وتعالى ونشكره...ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل : **(وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** ، ونشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله الذي قال : **(ما مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ إِلَّا نَدِمَ)** قالوا : وفيمْ نَدَامَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ : **(إِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونَ أَزْدَادَ ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونَ نَزَعٌ)** يعني تاب ورجع ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد فيقول الله تعالى : **(وَنُضِعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ)** .

عباد الله المؤمنين : ليلتان اثنتان يجعلهما كل مسلم في ذهنه : ليلة في بيته مع أطفاله وأهله منعماً سعيداً ، في نعمة وصحة وعافية يضاحك أولاده ويضاحكونه ، والليلة التي تليها مباشرة : أتاه فيها ملك الموت فوضع في القبر وحيداً منفرداً البعض يقول : لما انتقلت من المكان الذي اعتدت عليه إلى مكان آخر فارقني النوم ، فما بالك كيف تكون الليلة الأولى التي توضع فيها في القبر...حيث لا أنيس ولا جليس ولا زوجة ولا أطفال ولا أموال ولا كهرباء ؟ قال تعالى : **(ثم رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ)** وقال تعالى : **(حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب أرجعون * لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون)** نعم كلا..الآن تراجع حساباتك ؟ الآن تتوب ؟ الآن تكف نفسك عن المعاصي ؟ يا مدبراً عن المساجد ، يا معرضاً عن القرآن ، يا من أخذت أموال الناس ولا تريد أداها ، يا مقتحماً لأعراض حرمها الله...آلآن تتوب ؟ أين أنت قبل ذلك عندما كنت شاباً ؟ عندما كنت غنياً ؟ ألم تقرأ قوله تعالى **(إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَفَارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)** قال بعض المؤرخين : لما مات الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم كان شاباً ، وكانت عنده زوجة وأطفال ، ولكن الموت لا يستأذن شاباً ، ولا غنياً ولا ملكاً ، ولا وزيراً ، الموت يخرج الناس من القصور ، ويسكنهم القبور ، مات فجأة.. فلما دفنوه حزن عليه امرأته حزناً لا يعلمه إلا الله ، فأخذت أطفالها ، وضربت خيمة حول القبر = هكذا ذكر المؤرخ = وأقسمت بالله لتبكين على زوجها سنة كاملة ، وظلت تبكي على زوجها فلما وفّت السنة أخذت أطفالها وعادت إلى بيتها ما خرج إليهم ، ما قبل أطفاله ، ولا رأى زوجته ، وقد لا تراه في الآخرة ، بل قد يكونا عدوين يقاضى أحدهما الآخر ، فلا تلتقى الأحبة إلا بالعمل الصالح بعد الإيمان بالله قال تعالى : **(والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين)** من هنا تستطيع التوبة ورد الحقوق إذا تفكرت في الليلة الأولى في القبر عندئذ ستقتدى بمن تركوا الدنيا بعد أن ملكوها وهاموا ابن مسعود يحدثنا فيقول : خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى تبوك وفي ليلة قمت

فنظرت إلى فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجده في فراشه... فوضعت كفي على فراشه فإذا هو بارد ، وذهبت إلى فراش أبي بكر فلم أجده ، ثم إلى فراش عمر فما وجدته ، قال : فإذا بنور في آخر المعسكر فذهبت إليه فإذا بقبر محفور ، وقد نزل فيه صلى الله عليه وسلم ، وإذا بميت قد سُجِي في الأكفان وأبو بكر وعمر حول الجنازة والرسول صلى الله عليه وسلم يقول لهما : **(دلياً لي صاحبكما)** ، فلما أنزلاه وضعه صلى الله عليه وسلم في القبر وقد دمعت عيناه ، ثم رفع يديه إلى القبلة قال : **(اللهم إني أمسيت عنه راضٍ فارض عنه)** قال ابن مسعود : قلت من هذا ؟ قالوا : هذا أخوك عبد الله ذو البجادين مات في أول الليل قال ابن مسعود : فوددت والله أني أنا الميت ، ولكن من هذا الرجل الذي تمنى ابن مسعود أن يكون مكانه ؟ إنه صحابي جليل كان تاجراً موسراً فلما أسلم أخذ أهله وقومه ماله كله لأنه آمن... أخذوا كل شيء حتى ثوبه لم يتركوا عليه إلا ما يستر عورته فلم يجد إلا بجادا أي كساء شقه نصفين والتحف به ، ثم خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك حيث كان مثواه الأخير حيث دفنه صلى الله عليه وسلم بيده ، ومن الذين تركوا كل شيء أيضاً : عمر بن عبد العزيز فقد كان أميراً من أمراء الدولة الأموية ، يغير الثوب في اليوم أكثر من مرة عنده الذهب والفضة ، والمطاعم والمشارب كل ما اشتهى وتمنى يراه تحت يده ، وعندما تولى الخلافة وأصبح مسئولاً عن المسلمين إنسلخ من ذلك كله لأنه تذكر أول ليلة في القبر ، تولى الخلافة وهو كاره لها فما مرّ عليه أسبوع إلا وقد هزل وضعف وتغير لونه فسألوا زوجته وقالوا : مبال عمر؟ قالت : والله ما ينام الليل ، والله إنه يأوي إلى فراشه فينقلب كأنه ينام على الجمر ويقول : آه...آه... توليت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم...وسيسألني يوم القيامة الفقير والمسكين والطفل والأرملة ، قال له أحد العلماء : يا أمير المؤمنين رأيك قبل أن تتولى الخلافة في نعمة وعافية ، فما بالك تغيرت ؟ فبكي حتى كادت أضلعه تختلف ثم قال : كيف لو رأيته بعد ثلاث من موتى ؟ عندما أجرد من الثياب ، وأتوسد التراب ، وأفارق الأحباب ، وأترك الأصحاب ، والله لو رأيته لرأيت منظرأ يسوؤك ، فنسأل الله حسن الخاتمة ، آمين .

ولدتك أمك يا ابن آدم باكياً * والناس حولك يضحكون سروراً

فاعمل لنفسك أن تكون إذا بكوا * في يوم موتك ضاحكاً مسروراً

فيا عباد الله : ماذا أعددتنا لتلك الليلة والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : **(القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار)** كان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا شيع جنازة بكى حتى يغمر عليه ، فيحملونه على الجنازة إلى بيته ، فلما سأله في ذلك قال : سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : **(القبر أول منازل الآخرة)** ، فإذا نجا العبد منه فقد أفلح وسعد ، وإذا غُذِب فيه فقد خسر آخرته كلها ، كلنا زار القبور فهل رأيت أخى المسلم قبوراً للرؤساء وقبوراً للمرووسين ، قبوراً للأغنياء وللفقراء ، هل رأيت قبراً مُميزاً عن قبر؟ هل أنزل الغني في قبر من ذهب أو فضة ، وأنزل الفقير في قبر من طين ؟ استوت جميعاً أمامنا في الدنيا ، أما في الآخرة فلهم ميزان آخر...فريق في الجنة وفريق في السعير قال تعالى : **(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)** وعنه صلى الله عليه وسلم قال : **(كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)** .